الرحيل و الميلاد
وقصص أخرى

الرحيـــل و الميلاد

مطـــابـــع قطـــر الـــوطـــنـــيـــة

تليفون : ٤٤٤٤٨٤٥٢/٤ ٩٧٤+ - فاكس : ٤٤٤٤٩٥٥٠ ٩٧٤+
ص . ب : ٣٥٥ - الدوحـــة - قطـــر

تصميم الغلاف
والرسومات الداخلية
الفنان التشكيلي: ناصف الجمل

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة ٢٠١٢م

جمال فايز

الرحيل و الميلاد

مجموعة قصص قصيرة

موقع الكاتب على شبكة الانترنت
www.jamalfayez.com
البريد الإلكتروني
jamalfayez@yahoo.com

وما تبقى من شظايا المحار

١

ومـازلت .. كلما ذهبت .. إلى شـاطئ المـدينة أراه ، كأنمـا لا يبـرح مكانه ، بقايا إنسان ، يستر جسده وزاره الأصفر ، و«فانلته» البالية ،وينهم بموال يكاد لا يتوقف ، يصلني رخيما نحاسيا شجيا يغريك سماعه ، ويزعجك إن طغت عليه الآلات الرافعة ، التي جيء بها من خارج المدينة ، ترفع حجارة نصف طن من على الشاحنات ، تضعها على شاطئ المدينة ، متراصة وبعضها فوق بعض ، فتحجب البحر ، وتجثم على رماله الناعمة الذهبية ، وما تبقى من شظايا محار.

٢

عرضت عليه ذات مساء ، رغبتي في مساعدته بما يشاء ، وخزني بنظراته الحادة ، قبل أن يتركني ويتجه إلى سفينته ، تتبعته بنظراتي وهو يدخل في جوفها ، سمعت بعدها حشرجة موال ، يتخلله صدى طرقه على جدار سفينته .

٣

بعد الانتهاء من تجميل شاطئ المدينة ، جاءت شاحنات أكبر ، وبدأت الرافعات ، برفع السفن الخشبية ، الموجودة على طول الساحل ، وأخذها لمكان بعيد في اتجاه الغرب .

٤

ذات مساء رطب ، رأيته أول مرة ، يمشي إلى داخل البحر ، بينما سفينته مكبلة بالحديد ، معلقة في الهـواء ، تضعها الرافعة على إحدى الشاحنات، وكنت أسمعه ، بالرغم من سيره متوغلا في داخل البحر ، بالرغم من أصوات ماكينات الرافعات ، وزمجرة السلاسل الحديدية ، وأنات صفير الهواء ، الخارج من تجاويف السفينة ، وهدير البحر ، وطيور النورس ،

ظللت أسمع مواله ، يصلني هذه المرة محتضرا لا يكاد يسمع .

التفت ناحية الغرب ، حيث تُسير الشاحنات بعضها وراء بعض ، تصغر ، تختفي في قرص الشمس الأحمر القاني ، وطائرة مدنية ، تمر من فوق رأسي ، تنفث دخانا أسود ، يتلوى مثل الثعبان ، تتجه إلى مطار المدينة ، تلج في الغيم ، تختفي لثوان قبل أن تظهر ثانية .. مضت سنوات والسماء حبلى بالغيم ، لكن لم يسقط مطر ، نصلي صلاة الاستسقاء ، ولا يسقط مطر .. أبدا لا يسقط مطر .

نظرت ثانية إليه ، عدت لا أرى منه إلا رأسه ، يلعقه موج البحر ، ويبتلعه اليم .

الدوحة – فبراير ٢٠٠٠

دويبات الباب الخشبي

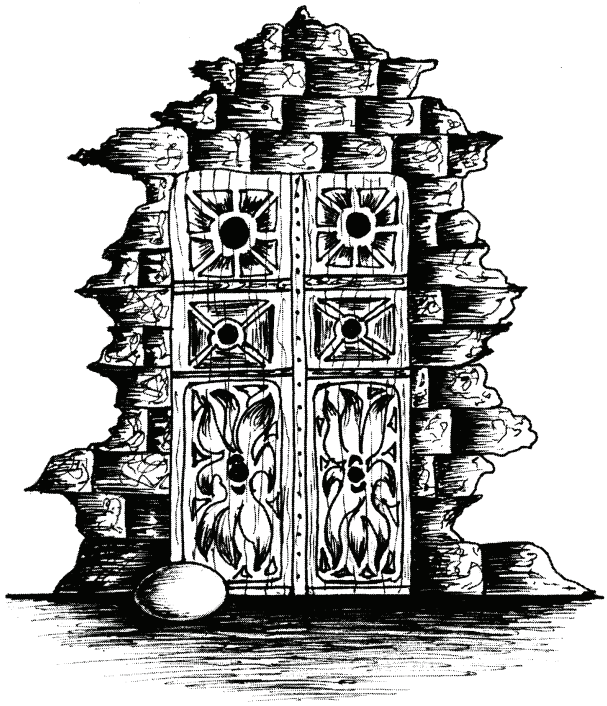

١

طَرق الأبناء باب البيت الخارجي مرات عديدة ، عودهم والدهم ألا يخرج من البيت بعد عودته من صلاة العشاء ، تكرر الطرق على الباب الخشبي ، وكلما اشتد الطرق ارتد صوته حادا ، كأنما هي مخالب تنغرس فيه .. تخنقه .. تميته ، تعوذ من الشيطان الرجيم ، استغفر ربه ، سحب «المَلة» (١) من تحت الماعز، أخذ «غترته» من على رأسه ، وضعها على فم «المَلة» ، لاحظ وجود بضع شعيرات لولبية في الحليب ، أخرجها ، سحب عصاه الموضوعة جانبه ، اتكأ عليها بهيكله المقوس وهو يردد «حاضر .. هذا آنا ، جايلك » .. مشى ، ترافق خطوات أقدامه ، أنات تزفرها أعماقه ، وهو يتجه إلى الباب الخارجي .

دخل أبناؤه ، قبلوا رأسه ، مشوا خلفه ، جلس السبعة أمامه ، قال أحدهم :

- للسنة الثالثة نجيء لك ، ونتمنى سماع موافقتك على بيْع البيت» .

- « اكفهر وجهه ، نظر إليهم ولم يرد»

وقاطعة آخر :

- أرجوك ، أنا محتاج ، بصراحة ، جميعنا محتاجون للمال

- « نظر إلى الآخر ولم يتكلم »

قال ثالث:

- أنت «ليش» (٢) ما موافق ؟

- «حبس دمعته ولم ينبس بكلمة»

٢

بعد خمسة أعوام ، وحينما كان يسقي النخلة ، المنتصبة في وسط ساحة البيت بجوار البئر ، لفت انتباهه الطَرقات المتتالية على الباب ، ذهب تجاهه ، دخل أبناؤه ، مشوا جانبه ، يرجون موافقته على بيع البيت ، جلسوا معه في داخل مجلسه ، تكلموا كثيرا وما قال شيئاً .

٣

بعد عشر سنوات ، وعندما كان ينشر «وزاره» (٣) على الحبل ، توقف لحظة سماعه طرقا قويا على الباب ، ذهب يفتحه ، دخل أولاده ، سبقوه إلى مجلسه ، حدثوه وما حدثهم .

٤

بعد عشرين عاما ، جاءه الأبناء والأحفاد ، طرقوا الباب طرقاً عنيفاً ، أحدث فيه حفراً صغيرة كثيرة . . طرقوه كثيرا لكن الباب .. لم يفتح.

الدوحة – يونيو ١٩٩٨

---

(١) المَلة: الوعاء

(٢) ليش: لماذا

(٣) الوزار: قطعة قماش تلف حول النصف الأسفل من الجسم

يـــوم العـــيـد

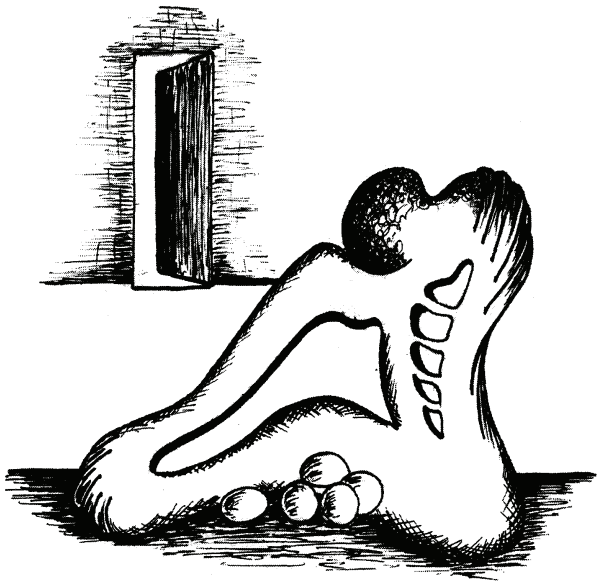

١

لأول مرة يخرج من بيته ، ولا ينظر للنخلة التي غرس فسيلتها جده الأول ، ورعاها أبناؤه وأحفاده ، واستطعم ثمرها سنين عديدة ، إلا من بضعة أعوام مضت ، إذ عادت لا تطرح ثمرا ، فتعاظم حزنه ، واشتد ألمه، ولم يفقد الأمل . ظل يرعاها ويمنحها معظم وقته ، إلا هذه الليلة ، فالوقت أمامه قصير ، وعليه شراء حاجات كثيرة ، أهمها الفواكه ، فأكثر من الرمان الذي كان يحبه ابنه ، ومن التفاح الذي كانت تفضله ابنته ، ومن الحلوى و « الرهش» (١) ، وأمضى ليلته ينظف مجلسه ، ويعد المائدة .

٢

على غير عادته ، نهض من على فراشه ، أيقظ خادمه ، ثم رجع إلى غرفته ، تعطر ، لبس ثياباً جديدة ، وخرج مزهوا يتكئ على عصا جده .

٣

في مصلى العيد . جلس في نفس المكان ، الذي كان يذهب إليه منذ صغره مع والده وجده . تفرس في الوجوه القادمة ، وفي وجوه الجالسين عن يمينه ويساره ، يبادره القاعدون بالتهنئة ، ويسأله آخرون عن سر الشجن الذي يكسو وجهه .

اكتظ المكان بالمصلين ، نهض الحشد للصلاة ، فعل مثلهم ، بدأ الإمام في إلقاء خطبة العيد ، وظل ينظر من حين لآخر ، في وجوه الجالسين ، لعله يجد ناسه (٢) .

بدأ الناس في الخروج من المصلى ، تشبث في مكانه ، يحملق في الوجوه ،

تنتابه الرغبة في العويل ، وهو يتفرس في المارين أمامه حتى رآهم ورأوه ، ترقرقت الدموع في عينيه ، همّ إليهم ، لكنهم .. واصلوا المشي خارجين من المسجد .. يحدث بعضهم بعضاً.

٤

رجع إلي بيته ، يتملكه الحزن ، لامست أذنه جذع النخلة ، ضربه بقبضة يده ، اقشعر بدنه ، انتابه إحساس ضاعف من حزنه ، ضربه ثانية وثالثة ورابعة .. صدق حدسه في أن الجذع أجوف ، وتمتم: «حسبي الله ونعم الوكيل» .

٥

وحده أمام المائدة ، على غير هدى ، يقطع بيدين مرتعشتين من الرمان والتفاح ، وبعنف يغرس السكين في الحلوى والرهش ، دخل عليه خادمه ، مسح دمعة التمعت على خده . تنحنح خادمه: «بابا .. أنا واجد فيه تعبان ، بابا يروح ينام ولاّ يوقف علشان إنتَ ؟» ولم يرد ، ظل لوقت يمعن النظر في المائدة ، قبل أن يشير إليه بأن يقترب ، ويجلس بمحاذاته ، ويشاركه في طعامه .

الدوحة – فبراير ١٩٩٨م

(١) الرهش : حلوى شعبية .

(٢) ناسه : ذووه.

بشرٌ من الأكفان

(١)

أوقف سيارته المصنعة في بلاد هولاكو .. أخرج علبة سجائره .. أخذ واحدة .. أشعلها .. سحب نفسا عميقا وهو يُتابع بعينيه مداداً من بشر .. نفث الدخان رماديا كثيفا سرعان ما تلاشى في الهواء .

(٢)

خرج من سيارته ، وقبل أن يبتعد ، سمع رنينا صادرا من هاتفه الخلوي .. رجع .. نظر في رقم المتصل .. أجاب سائله: ألو .. تحدث معه بكلمات هولاكية .

(٣)

أعاد وضع هاتفه داخل السيارة .. أغلق بابها . ترجَّلَ منها متجها إلى بحرٍ بشري من الأكفان .. أحذيتهم لونها أبيض .. لباسهم لونه أبيض .. قلوبهم .. دماؤهم .. مشاعرهم .. تصرفاتهم .. آراؤهم .. تفكيرهم .. قراراتهم ، جميعها لا تنال من الدرجات إلا درجة اللون الأبيض.

وصل عندهم .. أصبح وسطهم .. يرفع مثلهم لافتة بيضاء كتبت بالمداد الأبيض .. ليسقط الله هولاكو وبلادَهُ الشريرة .

الدوحة – يناير ٢٠٠٣م